المصـــــدر : اليوم
التـــاريخ : 08-08-2005
الصفحـات : 21
العـــدد : 11742
المسلسل : 119

القصة السعودية: الفصل السادس

أشرف إحسان فقيه

رحل الملك.. عاش الملك. هكذا كان لسان حال العالم خلال الأسبوع الفائت. كانت لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد رحمه الله ضحكة جذابة طالما أسرّت مُعجبيه. والطريقة التلقائية التي انتقل بها الحكم لخلَفه بدت وكأنها ضحكة أخيرة أطلقها الراحل في وجوه كل الذين ارتزقوا من وراء تكهنات خائبة بتغيير متعثر للسلطة في (العربية السعودية).

المصـــــدر : اليوم
التـــاريخ : 08-08-2005 العـــدد : 11742
الصفحـات : 21 المسلسل : 119

مشاريع الإصلاح أبرز سمات الفصل القادم من القصة السعودية

ربما كان العهد هو الملك الوحيد الذي يحتفظ به وعي أبناء وبنات جيلي. لكن هؤلاء عاشوا كذلك نحواً من ثلث أعمارهم تحت القيادة الفعلية لخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله حين ناب عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد خلال الفترة الأخيرة من حكمه. وإذا كانت تواريخ الشعوب العربية تتحدد بسِيَر وشخوص حكامها، فإن تأريخ المرحلة الفائتة قد طُبع إلى حد بعيد بطابع (الرفاه) والتوسع في (الإنجاز). وعندما يتساءل المراقبون عن التغيير الذي سيطرأ على السياسة السعودية في مرحلتها القادمة، فإن إجابة «لا شيء» التي يقدمها العديد من المعلقين تعبر في الواقع عن نصف الحقيقة وحسب. فالسياسة السعودية المقترنة بجملة من المبادئ الثابتة التي تعهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بالحفاظ عليها، هذه السياسة تتسق كذلك مع المشهدين المحلي والدولي اللذين يعيشان تبدلاً وفوراناً. والتطلعات المستقبلية لدور القيادة الجديدة خلال المرحلة القادمة هي بحجم الإشادة التي طالما تلقتها منجزات الماضي القريب.

إجابة «لا شيء» تعكس في المقام الأول حالة الوضوح التي ينظر بها المعلقون للملك الجديد وأسلوبه الذي تبدت ملامحه جلية خلال فترة إسناد مهام الحكم إليه وتزامنت مع وقائع كثيرة أظهرت موقعه كمسؤول عن البلاد وكرست لتميز مرحلته القادمة.

تسلّم خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله مهامه كنائب عن الملك إبّان انخفاض شديد بأسعار النفط مقترن بديون راكمتها حرب تحرير الكويت، ما شكل حاجساً طارئاً تم معه تقديم الأجيال السعودية لأول مرة إلى مفهوم (السياسة التقشفية) التي لم يكن لهم بها سابق عهد. وقد كان لذلك كله آثار ملموسة على المنظومة الاقتصادية السعودية وعلى الفرد أظهرتها الطبيعة الأكثر واقعية في تعامل المواطن مع سوق العمل، وفي الالتفات أخيراً لمفردات (الترشيد) و (البطالة) و (الفقر) كمؤشرات استراتيجية. وأدى ذلك كله لتوجيه الحكومة بقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله للاقتصاد السعودي إلى ميادين أكثر تنوعاً عبر سن النظم وإنشاء الأجهزة التشريعية والتنفيذية المتخصصة. قبل أن تعود الموازنة العامة لتحقيق الفائض ويتجاوز الاقتصاد السعودي أزمته.. لكن بعد أن لفّن المواطن درساً في الواقعية الاقتصادية خرج منه أكثر وعياً.

تلك الفترة من منتصف التسعينات شهدت كذلك بدايات تحرك المملكة نحو فك (العولمة)، مع كل ما شهده ذلك من شد وجذب حول (الخصوصية) السعودية العتيدة وقيم المحافظة التي تمثلها المملكة. وشكل الأخذ بملامح التعولم في أبسط صورها من (إنترنت) وفضائيات تحدياً تم التعامل معه بروية وبـ (خصوصية) كذلك. وهاهي المملكة توشك أخيراً على الانضمام لمنظمة التجارة العالمية عقب مباحثات تقاطعت بداياتها كذلك مع تولي خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله مسؤوليات إدارة البلاد، لتحقق المملكة خلال تلك الفترة كثيراً من متطلبات التحول وتتبنى سياسات الخصخصة وحماية الملكية وتعيد النظر في نظامها القضائي التجاري وتتجه أكثر نحو المؤسساتية في تسييرها لقطاعات الاستثمار والسياحة والتعدين. وهي مؤسساتية سعى خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله كذلك لتعزيزها شعبياً عبر إعلان المزيد من الصلاحيات لمجلس الشورى، مع حديث عن إمكانية انتخاب أعضائه، عطفاً على تعريف السعوديين على التجربة الانتخابية لأول مرة في مجالسهم البلدية.

على أن اللمح الأبرز لفترة إدارة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله للبلاد، والذي يرافقه بعد أن يوبع ملكاً، هو دوره في الخروج بالمملكة من معمعة الحرب على الإرهاب التي ألفى السعوديون أنفسهم رقماً ثابتاً في معادلتها. أثبت خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله كنائب للملك مهارة في العودة بعلاقات المملكة الاستراتيجية لسابق عهدها من الألق. وقاد حملة عريضة للعلاقات العامة في مواجهة حملة مقابلة للتشهير بكل ما هو سعودي ليندج في إثبات موقع بلاده المناوئ للإرهاب قبل أن يضرب بيد من حديد على من نقلوا ساحات معاركهم للداخل السعودي. ويحسب له خلال تلك الفترة التفافه حول ضغوط التغيير المتشنجة ومبادرته بإطلاق عدد من مشاريع الإصلاح التي ينظر لها الآن كأبرز سمات الفصل القادم من القصة السعودية تحت قيادة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله.

هذه الأيام وفيما تشهد الرياض مبايعة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز سادس ملوك الدولة السعودية الثالثة، فإن المواطنين المتوافدين على قصور الحكم ومقار الإمارات يؤكدون على النهج الذي استشفوه في فترة نيابته عن الملك خلال العقد الأخير. هم يتطلعون بشغف للتحديثات التي سيجريها الملك الجديد ولقراراته بشأن ملفات الإصلاح الصاخبة التي علقتها ظروف السنوات الأخيرة كالتعليم والقضاء وسلالم الرواتب والأجور والشفافية الإدارية ونظم المحاسبة والترشيد. ويأملون في إطلاق الحوار الوطني لآفاق أرحب وأكثر صراحة، وفي إثبات أدوار جادة للجهات التنفيذية، وفي توجيهات حاسمة مراعية لمصالح كافة فئات الشعب تطلق طاقاته وتكرس دوره الحضاري والتنموي وتقيم المواطن سفيراً حراً لبلاده وثقافته. ينتظر الجيل الذي نشأ تحت إدارة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله ويبايعه الآن ملكاً مبادراته في تبني التغيير كخيار استراتيجي، مع ترسيخ مكانة المملكة كراعية للإسلام بروح عصرية متحررة من الوصاية الفئوية، تقطع الطريق على كل الفئات الضالة، وتعطي مثالاً حياً يبحث عنه العالم للدولة المسلمة المتقدمة المكللة بالنجاح.. أو بالمزيد منه.

alfagih@kfupm.edu.sa